تفريغ شرح الأصول الثلاثة

للشّيخ محمّد بن عبد الوهاب –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

ضمن دروس سلسلة التأصيل العلمي

لفضيلة الشيخ

حـامد بن خميس بن ربيع الجنيـبي

(تفريغ الدرس العاشر)

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد

فيسر إخوانكم في شبكة وإذاعة إمام دار الهجرة العلمية وضمن دروس سلسلة التأصيل العلمي لفضيلة الشيخ حامد بن خميس الجنيبي –حفظه الله– نقدم لكم هده المادة العلمية والتي نسأل الله تعالى أن ينفع بها الجميع.

بسم الله الرحمان الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبيّنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علِّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزدنا علمًا، اللهم اجعلْ ما نقوله حجّةً لنا ولا تجعلْه حجّةً علينا واجعلْه يا ربّ في رضاك واجعلْه متقبَّلًا عندك إنك على كلّ شيء قدير.

وبعد

فكنا قد توقّفنا في الدرس الماضي عند التعليق على الهجرة، وبإذن الله –سبحانه وتعالى– ، يعني كان بودّي أن ننتهي اليوم من المتن لكن لعلّ اليوم يعني لعلّه لا يكفينا الوقت إن شاء الله للانتهاء، فنسأل الله –سبحانه وتعالى– التيسير، ونسأله –سبحانه وتعالى– أن يُعيننا على الانتهاء إن شاء الله من هذا المتن بالفهم التامّ إن شاء الله.

وإن شاء الله اليوم قارئنا هو أخونا أبو آية، الأخ عامر لو تتفضّل بالقراءة –حفظك الله–

[المتن]

وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السّاعَةُ. وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً

فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً﴾[1]

[الشرح]

طيب، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، ابتدأ المصنف –عليه رحمة الله تعالى– الحديث عن الهجرة، فقال –رحمه الله– : (**وَالهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلَامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السّاعَةُ.**)

نقول:

الهجرة في اللغة: هي الترك.

وهي في الشرع: ترك ما يُبغضه الله تعالى ويكرهه.

وهنا ذكر المصنّف –رحمه الله تعالى– نوعًا واحدًا من هذه الأنواع؛ من أنواع الهجرة وهو الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وسُمّي الانتقال من بلد الشرك أو بلد الكفر إلى بلد الإسلام هجرةً لأنّ فيه تركًا للأرض التي لا يحبها الله تعالى، أو يكثر فيها ما يبغضه الله –سبحانه وتعالى–. ونحن إن شاء الله سوف نقتصر هنا في الشرح على ما ذكره المصنف ولكي لا نتشعّب ونخرج عن مقصود هذا الرسالة.

قال –رحمه الله–: (**وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السّاعَةُ.**) هذه الهجرة التي يتكلم عنها المصنف هنا يسميها أهل العلم:

[1] [النساء: 97 – 99]

الهجرة العامة: وهي الانتقال من بلد الشرك، أو الكفر، أو المعصية، أو البدعة، إلى البلاد التي يُقام فيها شرع الله -عز وجل-. الهجرة من بلد الشرك إلى بلد التوحيد، والهجرة من بلد البدعة إلى بلد السنة، والهجرة من بلد المعصية إلى بلد الطاعة.

وهذه كلها هجرة قد رغّب فيها شرع الإسلام، ورغّب فيها ربنا -سبحانه وتعالى- في كتابه كما سيأتي معنا، وقد ورد عن مالك -عليه رحمة الله تعالى- أنه كان يقول: « لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أنْ يُقِيمَ بِأَرْضٍ يُسَبُّ فيهَا السَّلَفُ »، كان يقول -رحمه الله- كما روى عنه ابن القاسم: « لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أنْ يُقِيمَ بِأَرْضٍ يُسَبُّ فيهَا السَّلَفُ »، وقد اختلف أهل العلم في حكم هذه الهجرة: هل هي هجرة واجبة بإطلاقٍ؟ أو أنها تجب فقط على مَن لم يستطع إقامة الدين؟

نقول: الذي يظهر والله أعلم أن هذه الهجرة قد تكون واجبةً وقد تكون مستحبّةً، وطبعًا الذين قالوا بوجوب الهجرة سواء كان الإنسان يستطيع إقامة الدين أو لا يستطيع، استدلوا بأدلّةٍ، من ذلك: قول النبي صلى الله عليه وسلم: **" الْمُسْلِمُ وَالكَافِرُ لَا تَتَرَاءى نَارُهُمَا"**، وغير ذلك من الأدلة التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبُعد عن المشركين وعن الكفار. ولا شك أن هذا هو الأحوط، وهو الأكمل لدين العبد، بل إن بعض أهل العلم يَعدُّ مجرد السفر إلى بلد الكفر دون الحاجة يعد ذلك من الكبائر، فلو أن الإنسان قد احتاط لدينه فهو أكمل إن شاء الله.

ولكن نذكر هنا إن شاء الله ما عليه جمعٌ من أهل العلم؛ وهو أن الهجرة قد تكون واجبة وقد تكون مستحبة، وطبعا ذلك بحسب تمكن المؤمن من إقامة دين الله -تبارك وتعالى-، وقد ذكر المصنف – رحمه الله تعالى- الدليل علي هذا النوع من الهجرة ذكر قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ**

﴿فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّـهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾[2]، هؤلاء قد اعتذروا عن هجرتهم التي أُمروا بها لأنهم كانوا مستضعفين في الأرض، وقال لهم الملائكة: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها. وقوله –سبحانه وتعالى–: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ هذا يؤخذ منه أن الهجرة قد تكون واجبة، وقد تكون مستحبة.

قوله –سبحانه وتعالى–: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ هذا العذر الذي اعتذر به هؤلاء الذين كانوا بمكة ولم يهاجروا إلى المدينة، اعتذروا بهذا العذر وهو ضعفهم وعدم استطاعتهم أن يقيموا شرع الله –عز وجل–. واعتذروا بهذا العذر وهو الاستضعاف في الأرض، وقد أقرهم ربنا –سبحانه وتعالى– على ذلك، وإنما جاء التوبيخ على عدم الهجرة ما داموا لا يستطيعون إقامة الدين، فاعتذروا بضعفهم. وكل من كان ضعيفا لا يستطيع إقامة الدين فإنه يجب عليه أن يهاجر من الأرض التي هو فيها إلى بلد يستطيع فيها أن يقيم فيها دينه ويعبد ربه –عز وجل– كما أمره.

قال: ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾، هنا ربنا –سبحانه وتعالى– قد بيَّن من هم الذين يُعذرون بعدم الهجرة، وطبعا نلاحظ أن الكلام هنا كله عن المستضعفين قال سبحانه: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً﴾، هؤلاء هم الذين يُعذرون بعدم الهجرة، وذلك لضعفهم وعدم تمكنهم من أن يخرجوا من هذه الأرض، قال –سبحانه وتعالى–: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾: فليس لهم حيلة للخروج، وكذلك قال: ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾: أي لا يعرفون

[2] [النساء: ٩٧]

كيف السبيل كيف الطريق للخروج من هذه الأرض التي هم فيها. وهذا أيضا قد يدخل فيه من كان لا يستطيع الهجرة بسبب الإقامة أو ما فرض في هذه الأيام من الجوازات ونحو ذلك من القوانين التي شرعتها بعض الدولأو عامة الدول شرعت هذه القوانين، فهذا داخل في ذلك ولا شك فهم معذورون لعدم هجرتهم.

ثم ذكر المصنف –رحمه الله تعالى– الآية التي بعدها أو الدليل الذي بعده أو لعلنا هنا يعني نوضح أكثر في كون أن المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا كيف يُعذرون، نقول: إن شرع الإسلام قد جاء بالتماس الأعذار، وقد جاء بأن الأصل هو عدم المؤاخذة لمن كان قد بذل وسعه في ما طُلب منه من شرائع الإسلام، وكل من أدى ما يطيقه وما يستطيعه فقد برئت ذمته، وقد صح في البخاري وغيره من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم **" بَيْنَمَا هُوَ يُصَلِّي صَلَاةَ الْعِشَاءِ قَالَ بَعْدَ الْقِيَامِ مِن الرُّكُوعِ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَه، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَسْجُدَ: اللَّهُمَّ نَجِّي عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَة، اللَّهُمَّ نَجِّي سَلَمَة بْن هِشَام، اللَّهُمَّ نَجِّي الْوَلِيدَ بْن الْوَلِيد، اللَّهُمَّ نَجِّي الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِين، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَر، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كَسِنِي يُوسُف "**، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم للمستضعفين وأن ينجيهم الله –سبحانه وتعالى– مما هم فيه من الأذى، ولذلك هذه الآيات التي ذكرها المصنف قد جاءت بعدها قول الله –عز وجل– : ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [3].

طبعا المراغم هو: المكان الذي يتحصن فيه الإنسان كما ذكره ابن كثير –عليه رحمة الله تعالى – في تفسيره، والله –سبحانه وتعالى– قد رغب المؤمنين في هذه الآية وحثهم على الهجرة عن تلك البلاد، وأن من هاجر –ذكر لهم –سبحانه وتعالى– أن من هاجر من هذه البلاد التي لا يستطيع فيها إقامة دين الله –عز وجل– فأنهم سوف يجدون لهم مكانا خيرا من هذا المكان

---

[3] [النساء: ١٠٠]

الذي كانوا فيه، وسوف يكون لهم من الرزق ما هو خير لهم مما كان عندهم، والرزق هو في الآية في قوله –سبحانه وتعالى-: ﴿ سَعَةً ﴾، ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّـــهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾. وجاء عن بعض السلف أنهم كانوا يقولون أنهم يحصل لهم المراغم والسعة قالوا من الضلالة إلى الهدى، ومن القلة إلى الغنى، وذلك قال –سبحانه وتعالى– بعد ذلك: ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّـــهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّـــهِ﴾، فهذا بين فيه –سبحانه وتعالى– أن من بذل وسعه فإن الله –عز وجل – يكتب له الأجر الكامل، ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّـــهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّـــهِ﴾، وفي مثل ذلك ما صح عن النبي –صلى الله عليه وسلم – في قصة الرجل الذي قتل تسعا وتسعين نفسا، ثم سأل راهبا عن توبته فقال له لا توبة لك فقتله فأكمل به المائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدلوه على عالم فسأله: هل لي من توبة؟ فقال: ومن يحول بينك وبين التوبة؟! اخرج إلى بلد كذا وكذا فإن بها أناس يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء. فانطلق حتى إذا نصف الطريق فأتاه ملك الموت أو أتاه الموت فاختصم فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله. وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط. فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم –يعني حكم القاضي بينهم أي حكما بينهم– فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى له. فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، أي التي قصدها، فقبضته ملائكة الرحمة. فهذا الحديث كما ذكرت يبين أن من بذل وسعه فإنه لا يُآخذ بما لم يستطعه، وبما لم يكلف فيه. وهذا طبعا بالنسبة للهجرة العامة، وسوف نذكر إن شاء الله بعد قراءة ما يتعلق بالهجرة ما يتعلق بالهجرة الخاصة على عجل.

طيب تفضل بالقراءة أبا آية

[المتن]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [4] قَالَ البَغَوِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى –: سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ فِيْ الْمُسْلِمِيْنَ الَّذِيْنَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا؛ نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيْمَانِ. وَالدَّلِيْلُ عَلَى الهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا" [5]. فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِيْنَةِ أَمَرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ مِثْلُ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالحَجِّ، وَالجِهَادِ وَالأَذَانِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ. أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِيْنَ وَبَعْدَهَا تُوُفِّيَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

وَدِيْنُهُ بَاقٍ، وَهَذا دِيْنُهُ، لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالخَيْرَ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ: التَّوْحِيْدُ، وَجَمِيْعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرَّ الَّذِي حَذَّرَ مِنْه: الشِّرْكُ وَجَمِيْعُ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ. بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَةً

طيب جزاك الله خير حسبك بارك الله فيك طيب يقول: (**وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ قَالَ البَغَوِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى –: سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ فِي الْمُسْلِمِيْنَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا؛ نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ.**)

الله –سبحانه وتعالى– (...) ولا يكون كافرا بذلك فإن الله –سبحانه وتعالى– قد قال: ﴿ **يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ فناداهم –سبحانه وتعالى– باسم الإيمان، ثم ذكر الدليل من

---

[4] [العنكبوت: ٦٥]

5) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب: في الهجرة هل انقطعت. وأحمد جـ١ ص ١٩٢. والدرامي، كتاب السير، باب: أن الهجرة لا تنقطع، والهيثمي في "مجمع الزوائد" جـ ٥ ص ٢٥٠، وقال: "روى أبو داود والنسائي بعض حديث معاوية – ورواه أحمد والطبراني في الأوسط والصغير من غير حديث ابن السعدي – ورجال أحمد ثقات – ."

السنة عن الهجرة، قال: (**وَالدَّلِيلُ عَلَى الهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا")**، فدل هذا الحديث على أن الهجرة باقية إلى أن تطلع الشمس من مغربها، فكل من انتسب إلى دين الإسلام فإنه يجب عليه أن يهاجر إن كان يعني في بلد لا يستطيع فيها إقامة الشرع، فإنه يجب عليه أن يهاجر من هذه البلد إلى بلد يستطيع فيها أن يعبد ربه –سبحانه وتعالى–، وكما قال صلى الله عليه وسلم: (**"وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا"**)، وهذا كله كما ذكرنا سابقا أنه في الهجرة العامة.

وأما الهجرة الخاصة في قوله صلى الله عليه وسلم: " **لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ**" فهي الهجرة الخاصة التي هي من مكة إلى المدينة.

طيب تقرأ بارك الله فيك فلما استقر في المدينة إلى قوله ورضيت لكم الإسلام دينا.

[المتن]

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ أَمَرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ مِثْلُ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالحَجِّ، وَالجِهَادِ وَالأَذَانِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وِالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ. أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِيْنَ وَبَعْدَهَا تُوُفِيَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ. وَدِيْنُهُ بَاقٍ، وَهَذا دِيْنُهُ، لَا خَيْرَ إلَّا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالخَيْرَ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيْعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرَّ الَّذِي حَذَّرَ مِنْهُ: الشِّرْكُ وَجَمِيْعُ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ. بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَةً، وَافْتَرَضَ اللهُ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيْعِ الثَّقَلَيْنِ: الجِنِّ وَالإِنْسِ.

[الشّرح]

طيب يقول –رحمه الله–: (**فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ أَمَرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ مِثْلُ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالحَجِّ، وَالجِهَادِ وَالأَذَانِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ**) إلى آخر كلامه. من المعلوم أنّ دين الإسلام قد جاء بالتدرّج و لم يأتي دين الإسلام بجميع الأحكام عامة، لم يأتي بجميع الأحكام كلّها دفعة واحدة، وذلك لتعويد النّاس على هذه الأحكام، وكما قالت عائشة –رضي الله عنها– قالت لو أنّه نزل –يعني– لا تزنوا، لا تشربوا الخمر، لم يمتثل النّاس لذلك، ولكن جاءت الشّريعة بالتّدرج فتدرج ربّنا –سبحانه وتعالى– مع النّاس، يعني أنزل الله –سبحانه وتعالى–الأحكام بالتدرّج على النّاس لكي يألفوا هذه الشّريعة، ولكي لا يصعب عليهم الأخذ بدين الإسلام، ويشق عليهم ذلك. وهذا بلا شك فيه بيان إلى الدّاعية إلى الله –سبحانه وتعالى–أن يتدرّج أيضا في دعوته لمن أراد دخوله في دين الإسلام، وطبعا كما ذكرنا سابقا أنّه لا شكّ يقدّم واجب الوقت، فإذا حانت الصلاة تعلّم الصّلاة والطّهارة وإلى آخره، فيعلم واجب الوقت، المسألة فيها تفصيل تكلمنا على شيء منه في الدّروس الماضية.

قال:" (**فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ أَمَرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ مِثْلُ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالحَجِّ، وَالجِهَادِ وَالأَذَانِ**) إلى آخره، طبعا اختلف أهل العلم في وجوب الزّكاة والصّيام هل كان في مكّة أو كان في المدينة؟ ولن نطيل في التّفصيل ولكن الّذي يظهر والله أعلم أنّ الزّكاة قد فُرضت في مكة كما جاء في قوله تعالى في سورة المزّمّل وهي سورة مكّيّة قال سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا الْصَّلَاةَ وَآَتُوا الْزَّكَاةَ وأَقْرِضُوا اللّه قَرْضًا حَسَنًا﴾[6]. فأمر –سبحانه وتعالى– بإيتاء الزّكاة في مكّة، و لم يكن في المدينة، هذه السّورة نزلت في مكّة وأيضا بالنّسبة للصّوم النبيّ صلّى الله عليه

---

[6] [المزمل: ٢٠]

وسلّم لّما هاجر إلى المدينة صلّى الله عليه وسلّم وجد اليهود، أوّل ما صام صلّى الله عليه وسلّم صام عاشوراء وأمر النّاس بصيام يوم عاشوراء، لكن رمضان فُرض بعد ذلك، المعذرة الخلاف في الزّكاة وليس في الصّوم، الصّوم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لّما هاجر إلى المدينة وجد اليهود يصومون عاشوراء فصام عاشوراء وأمر النّاس بصيام عاشوراء وقال: **"نَحْنُ أَحَقُّ بِمُوْسَى مِنْكُمْ"**.

قال: (**وَالحَجُّ، وَالجِهَادِ وَالأَذَانِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ. أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِيْنَ وَبَعْدَهَا تُوُفِّيَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ. وَدِيْنُهُ بَاقٍ**)، وسوف يذكر على ذلك الأدلّة بقوله –سبحانه وتعالى–: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾[٧]، وأنا هنا أنبّه أنني قد أكدت سابقا على أنّنا سوف نمرّ إن شاء الله مرور توضيح لهذه الرّسالة، ولن ندخل في تفاصيل في المسائل، لأنّنا كما ذكرنا سوف نحاول أن نأخذ مقصود هذه الرّسالة، هذه الرّسالة وُضعت لمقصود معين فلا نخرج عن هذا المقصود –عن مقصود الرّسالة–، لأنّنا لو أخذنا نفصّل في كلّ مسألة يعني صار شرح الأصول الثّلاثة كشرح كتاب التّوحيد، يأخذ من الزّمن ما يأخذه هذا الكتاب، بل يصعب هذا لأنّه لا يستفيد منه طالب العلم ويشتّت الذّهن، فنبقى إن شاء الله في المقصود وهو أن نخرج إن شاء الله بمقصود هذه الرّسالة، ولا نتشعب كثيرا إن شاء الله.

قال: (**وَهَذا دِينُهُ، لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالخَيْرُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ**)، طبعا صحّ في حديث أبي ذرّ–رضي الله عنه–قال:" **مَا مِنْ طَائِرٍ يُقَلِّبُ**

[7] [المائدة: ٥]

جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلّا وَعِنْدَنَا عِلْمٌ مِنْه"، قال:**"قَدْ عَلَّمَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى إِنَّهُ مَا مِنْ طَائِرٍ يَقْلِبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلّا وَعِنْدَنَا عِلْمٌ مِنْه** ". واليهود قالوا لسلمان –رضي الله عنه–: قد علّمكم نبيّكم–صلّى الله عليه وسلّم– كلّ شيء حتّى الخراءة، يعني الاستنجاء من الغائط والبول، قال –رضي الله عنه–: نعم علّمنا وذكر الحديث باستقبال واستدبار القبلة. والنّبي صلّى الله عليه وسلّم قد علّم هذه الأمّة كلّ شيء، وهذا ممّا يدلّ على أنّ شريعة الإسلام شريعة عامّة في كل ما يحتاجه المرء في شؤون دينه ودنياه، فإذا كانت شريعة الإسلام قد جاءت ببيان الخراءة وهي الاستنجاء، فكيف لا تأتي ببيان التّوحيد، توحيد الله –عزّ وجلّ–؟ كيف لا تأتي ببيان كيف يعبد الله –عزّ وجلّ؟ وكيف يوحّد –سبحانه وتعالى–؟ هذا من المحال، فإنّ دين الإسلام قد جاء بأكبر تفصيل لتوحيد الله –عزّ وجلّ–، وقد فصّل نبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم التّوحيد وشأن التّوحيد، وعلّم أمّته التّوحيد وأوضحه لهم أشد إيضاحا وأشد بيان، وهو صلى الله عليه وسلم خير معلم وقد بلغ هذا الدين، وهذا التوحيد لخير مُعَلَّمِين وهم أصحابه –رضي الله عنهم وأرضاهم– وهم بدورهم قد بلغوا بوسعهم وبطاقتهم ما استطاعوا أو بلغوا كل هذا الدين حسب ما سمعه كل أحد منهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تعلمه من صاحب من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا الدين لا شك أنه دين عظيم إذا جاء بهذا التفصيل في جميع جوانبه وفي جميع شؤونه قد أوضح كل ما يحتاجه الإنسان في أمور دينه وفي أمور دنياه.

قال –رحمه الله–: (**وَالخَيْرَ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيْعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرَّ الَّذِي حَذَّرَ مِنْهُ: الشِّرْكُ وَجَمِيْعُ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.**) لا شك أن الله –سبحانه وتعالى– قد أمر بالتوحيد، وأمر بما يحبه –سبحانه وتعالى– وبما يرضاه من هذه العبادات التي افترضها على عباده، ولا شك أنه سبحانه حذر من كل شر، ورأس الشر الشرك، وحذر من

جميع ما يكرهه سبحانه ولا يرضاه من ما يُتقرب إليه –سبحانه وتعالى– أو مما قد يكون فيه فساد للدين أو فساد للدنيا.

....

قال: (**بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَةً، وَافْتَرَضَ اللهُ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيْعِ الثَّقَلَيْنِ: الجِنِّ وَالإِنْسِ، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾** [٨])

طيب هنا سؤال قد يطرح، قد يقول قائل: أن النبي صلي الله عليه وسلم قد بعث إلى الثقلين الجن والإنس كيف يكون للجن أن يبلغهم شرع الله –عز وجل– والنبي صلى الله عليه وسلم كان أصحابه –رضي الله عنهم– هم الذين يتلقون عنه الشريعة ويبلغونها إلى غيرهم؟ أقول: فأما هذا فهم مأمورون، ومأمورون بما جاء به القرآن وما جاءت به السنة، وأما كيف يصل إليهم؟ فنحن نؤمن أن النبي صلى الله عليه وسلم قد آمن به جمع من الجن، وأن هؤلاء الجن الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم يبلغون ما تعلموه من شرع الله –عز وجل–، وقد ورد في القرآن ما يدل على ذلك، كما في سورة الجن قد بين –سبحانه وتعالى– أن الجن قد آمنوا بكتاب الله –عز وجل–، وجاء أيضا في آيات أخرى أنا لا استحضر الآية جاء أيضا أن الجن قد آمنوا بدعوة بالنبي صلى الله عليه وسلم كما في قول –سبحانه وتعالى–:﴿ **إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ** ﴾[٩] الآيات، وكذلك الله المستعان نسيت الآية؛ طيب إن شاء الله إذا ذكرت الآيات لعلي إن شاء الله أوردها فيما بعد، وعموما يعني طبعا جاء أيضا في السنة في ليلة الجن أن الجن قد استمعوا للنبي صلى الله عليه وسلم، يعني دل الكتاب والسنة على أن الجن مأمورون باتباع كتاب الله –عز وجل– وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن أدل دليل وأوسعه هو قول الله –سبحانه وتعالى–: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ**

[8] [الأعراف: ١٥٨]

[9] [الجن: ١،٢]

لِيَعْبُدُونِ﴾[10] وكذلك كما جاء في سورة الرحمن فإن الله -عز وجل- بعد كل آية يخاطب الإنس والجن بقوله سبحانه ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[11] فهذا الخطاب للإنس والجن يوضح بأنهم مخاطبون بشرع الله -عز وجل- وبدين الله -عز وجل-.

قال: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ [12]

وَأَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّيْنَ، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾)[13].

فلا شك أن كل خير قد دل النبي صلى الله عليه وسلم أمته عليه، وأن كل شر قد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته منه، فهذا الدين دين كامل قد جاء بكل ما يحتاجه الناس وكل ما يعني يوضح لهم أمور الدين وأمور الدنيا، نعم قال والدليل على موته صلى الله عليه وسلم، تفضل.

[المتن]

والدليلُ على موتِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [14].

---

10 [الذاريات: ٥٦]

11 [الرحمن: ٢١]

12 [الأعراف: ١٥٨]

13 [المائدة: ٥]

14 [الزمر: ٣٠-٣١]

والناسُ إذَا ماتُوا يُبْعَثُونَ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [15]، وقولُهُ تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنْ الأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾[16].

وبعدَ البَعْثِ محاسبُونَ ومَجزيُّونَ بأعْمالِهِمْ والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [17]، ومَنْ كَذَّبَ بالبعثِ كَفَرَ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [18].

وأرسلَ اللهُ جميعَ الرُّسلِ مبشِّرينَ ومُنذرينَ.

[الشرح]

نعم حسبك وفقك الله، الآية التي أردت أولا أذكرها قوله –سبحانه وتعالى– ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﴾ الجن يدعون قومهم ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ

15 [طه:٥٥]

16 [نوح:١٧-١٨]

17 [النجم:٣١]

18 [التغابن:٠٧]

مُّبِينٍ ﴾ [19] فهذه الآيات التي أردت أن أذكرها ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ** ﴾ هي من سورة الأحقاف، قد دعا هؤلاء الجن إلى الذين استمعوا إلى القرآن دعوا قومهم إلى توحيد الله –عز وجل–، وإلى الإيمان بالله –عز وجل–.

قال: (**والدليلُ على موتِهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾**).

وهذا فيه بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مات صلى الله عليه وسلم، وقد خاطبه الله –سبحانه وتعالى– بأنه سوف يخرج من هذه الدنيا، وسوف تُقبض روحه، ولذلك هذه الآيات فيها بيان عظيم لمسألة مهمة؛ وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات، وقد ورد في بعض الأحاديث الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قال: " **الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِم يُصَلُّون** "، وهذه الحياة التي وردت في هذا الحديث لا تُشكل على هذه الآية، فإن هذه الحياة حياة خاصة، حياة برزخية لا تشابه حياة الدنيا، وعليه لا يصح أن يتعلق إنسان بهذه الأحاديث بأن يطلب من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن يدعوا له، وإنَّ كثيرا من المتصوفة وأهل البدع يذهبون إلى قبور الأنبياء أو قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيسألون النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء.

قال: (**﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾**.

قال: **والناسُ إذا ماتُوا يُبْعَثُونَ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾**) وهذه عقيدة قد اتفق عليها أهل السنة بحمد الله، بل اتفق عليها الشرائع التي نزلت من عند الله –عز وجل– على أن الناس يبعثون عند الله –عز وجل–، ويحاسبون على ما اقترفته أيديهم وجوارحهم من الأعمال التي عملوها في هذه الدنيا، محاسبون ومجزيون على ما فعلوه في هذه الدنيا، ولا شك أن الإيمان بالبعث فيه ثمرة عظيمة، وهذه الثمرة

---

[19] [الاحقاف: ٢٩-٣٢]

هي التي تدعو الإنسان إلى أن يعبد الله –عز وجل– كما أمر، فإن الإنسان إذا علم أنه سوف يُبعث ويُحاسب على ما اقترفته يداه في هذه الدنيا لا شك أنه سوف يقلع عن فعل ما لا يرضاه الله –عز وجل–، وسوف يقبل على ما يرضاه ربنا سبحانه ويحبه من الأعمال والعبادات التي يتقرب بها إليه –سبحانه وتعالى–، ذكر المصنف –رحمه الله تعالى– الدليل على ذلك قال: **(والناسُ إذَا ماتُوا يُبْعَثُونَ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾)**، وللإنسان أن يتصور كيف يكون الحال لو أن الناس كانوا لا يبعثون وكانوا لا يحاسبون على هذه الأعمال، يعني يتسلط الإنسان على من شاء، والقوي يتسلط على الضعيف، والقادر يتسلط على العاجز، والغني يتسلط على الفقير وإلى آخر ذلك؛ فيتسلط كل قادر على التسلط على من لا يستطيع دفع هذا التسلط عن نفسه، فتكون في هذه الدنيا من البلايا ومن الأشياء التي لا تستقر بها الحياة مالا يعلمه إلا الله –سبحانه وتعالى–.
(وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنْ الأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾).

وهذا فيه بيان للبعث، وأن الناس يعني أن الله –سبحانه وتعالى– ضرب لهم مثلا للبعث، بأن الناس سوف ينبتون من هذه الأرض ويخرجون من هذه الأرض، فكما استطاع ربنا –سبحانه وتعالى– أن ينبت الأشجار والزرع فكذلك يستطيع –سبحانه وتعالى– أن ينبت البشر من هذه الأرض ويخرجهم من هذه الأرض.

قال: **(وبعدَ البَعْثِ محاسبُونَ ومَجزيُّونَ بأعْمالِهِمْ والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾، ومَنْ كَذَّبَ بالبعثِ كَفَرَ)** –وطبعا مسائل البعث سوف تأتي معنا إن شاء الله أيضا في كتاب التوحيد، وإن شاء الله نفصل فيها في كتاب التوحيد– **(ومَنْ كَذَّبَ بالبعثِ كَفَرَ والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾)**.

وطبعا هذه الآية دلت على أنه من كذب بالبعث كافر وذلك في قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾ فسماهم ربنا –سبحانه وتعالى– كفارا لأنهم قالوا لن نبعث فاستحقوا بإنكارهم للبعث أن يطلق عليهم اسم الكفر وأحكام الكفر، فمن لم يؤمن بالبعث فهو كافر خارج عن ملة الإسلام باتفاق أهل الإسلام.

[المتن]

وأرسلَ اللهُ جميعَ الرُّسلِ مبشِّرينَ ومُنذرينَ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [20] وأولُهُمْ نوحٌ عليهِ السلامُ، وآخِرُهُم محمدٌ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وهو خاتمُ النَّبيينَ والدليلُ على أنَّ أوَّلَهُم نوح قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [21]، وكلُّ أمَّةٍ بعثَ اللهُ إليها رسولاً مِنْ نوحٍ إلى محمدٍ يأمُرُهُمْ بعبادةِ اللهِ وحدَهُ، ويَنْهَاهُمْ عنْ عبادَةِ الطاغوتِ، والدّليلُ قولُهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [22]

[الشرح]

تكلّم المصنّف –رحمه الله تعالى– بعد ذلك عن إرسال الرسل، قال: (**وأرسلَ اللهُ جميعَ الرُّسلِ مبشِّرينَ ومُنذرينَ**)؛ مُبشرين بما عند الله –عزّ وجلّ– من الأجر والمثُوبة والرضوان، ومنذرين بما عند الله –عزّ وجلّ– من العذاب والسخط والنكال. فيُبشّرون ويُنذرون كما قال سبحانه: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ فالرُّسل حجة الله –عزّ وجلّ– على خَلقِه، وأعظم ما أمروا به عليهم صلوات الله تعالى وسلامه هو

[20] [النساء: ١٦٥]

[21] [النساء: ١٦٣]

[22] [النحل: ٣٦]

توحيد الله –عزّ وجلّ– كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنبُوا الطَّاغُوتَ﴾ وأول هؤلاء الرُسل نوح عليه الصلاة والسلام وآخرهم محمد صلّى الله عليه وسلم وهو خاتم النبيّين، قال: (**والدليلُ على أنَّ أوَّلُهم نوح عليه الصلاة والسلام قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾**) أي من بعد نوح عليه الصلاة والسلام وكل أمة بعث الله إليها رسولا من نوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم يأمرُهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت، قال: (**والدّليلُ قولُهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾**).

الطاغوت: مأخوذ من الطُغيان وهو مُجاوزة الحدّ.

الطاغوت في الشرع: هو ما تجاوز به العبد حَدّهُ من معبودٍ أو متبوعٍ أو مُطاعٍ، كما قال ذلك بن القيّم كما سيأتي معنا إن شاء الله، والدليل على وجوب الكفر بالطاغوت هو قوله –سبحانه وتعالى–: ﴿ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، والله –سبحانه وتعالى– كما ذكر المُصنّف –رحمه الله تعالى– قد افترض على جميع العباد الكُفر بالطاغوت والإيمان به –سبحانه وتعالى–.

[المتن]

وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيْعِ العِبَادِ الكُفرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيْمَانَ بِالله. قَالَ ابْنُ القَيِّمِ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–الطَّاغُوتُ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ العَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ، وَالطَّوَاغِيْتُ كَثِيْرَةٌ وَرُؤُسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيْسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ وَمَن دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَن ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ.

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾[٢٣]. وَهَذَا مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

وَفِي الحَدِيْثِ: ((رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذَرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ فِي سَبِيْلِ اللهِ))[٢٤].

وَاللهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

[الشرح]

هُنا المُصنف –رحمه الله تعالى– اختتم هذه الرسالة بالحديث عن الطواغيت وعن رؤوس الطواغيت الخمسة، ذكر مقولة بن القيّم –رحمه الله– نعلق على هذه المقولة ثم بعد ذلك إن شاء الله نُفصل.

قال : (**الطَّاغُوتُ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ العَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ**).

هذا هو الطاغوت: ما تجاوز به العبد حَدّه؛ لأننا قلنا أن الطاغوت مأخوذ من الطُغيان وهو تجاوز الحدّ، فكل ما تجاوز به العبد حدّه سواء كان هذا الشيء الذي قد تجاوز به هذا الإنسان الحدّ سواء كان معبودا أو متبوعا أو مُطاعا فهو طاغوت، ولكن لكي نبين نحن قد ذكرنا ذلك سابقا أن هذا مخصوص بمن رضيَ بهذا التجاوز، فإذا تجاوز العبد بمخلوق حده ولكن هذا المخلوق لم يرضى بهذا الفعل فإنه لا يُسمى طاغوتا، و لم يرضى بهذه العبادة فإنه لا يُسمى طاغوتا، و لم يرضى بهذا التجاوز في الإتباع والطاعة فلا يُسمى طاغوتا، فهذا الإنسان أو العبد

---

[23] [البقرة: ٢٥٦]

[24] رواه أحمد ٥/٢٣١–٢٣٧، والترمذي ٥/١٣ برقم ٢٦١٦ ، وابن ماجه ٢/١٣٩٤ برقم ٢٩٧٣.

الذي تجاوز بهذا العبد حدّه فإنه لا شكّ أنه يُطلق عليه اسم الكفر واسم الشرك لأنه قد جعل شيئا من خصائص الله -سبحانه وتعالى- للعباد، والعباد ولا شك لهم من الحدود التي حدّها الله -سبحانه وتعالى- لهم ولا يجوز لأحدٍ أن يتجاوز لعبد من عباد الله حدّه الذي حدّه له، فإن ربنا -سبحانه وتعالى- قد جعل للأنبياء حدّاً؛ وللعلماء حدّاً؛ وللعامّة حدًّا؛ وجعل -سبحانه وتعالى- للأب حدًّا، وللأم حدًّا، وللابن حدًّا، وللزوجة حدًّا، وللزوج حداً، فلا يجوز للإنسان أن يتجاوز الحدّ فيما قد فرضه الله -سبحانه وتعالى-، فيُنزل كل ذي منزلة عند منزلته التي أنزلها الله -سبحانه وتعالى-وقد ورد في الأثر:" أنزلوا الناس منازلهم" وأظنه عن علي -رضي الله عنه-، فكل إنسان يُعطى من الحد ما قد فرضه الله -سبحانه وتعالى- له أو أعطاه الله -سبحانه وتعالى- إياه، ولا يُتجاوز بهذا الحد فيُخرج هذا الإنسان من هذه الطاعة، فلو أن امرأة أطاعت زوجها طاعة تخرجه عن حدّ كونه عبدا لله -عز وجل- وهذا يعني لا شك أنه يتحصل لها الحكم بأنها تجاوزت الحد في هذا الزوج، ولكن ينبغي ضبط هذه المسألة لكي لا يظن الإنسان شيئا ليس مرادا في هذا الباب، وذلك أن مرادنا بأن لو أن الزوجة قد تجاوزت في زوجها الحد مرادنا بذلك وفقنا الله -سبحانه وتعالى- وإياكم أنها تجعل طاعته كطاعة الله –عز وجل- أو أنها ترى أنه يصح له أن يطاع بغض النظر عن ما فرضه الله -سبحانه وتعالى- عليها من الطاعات، فلو أن الله -سبحانه وتعالى- أمرها بالطاعة ترى لو أن زوجها أمرها بالمعصية فهو يطاع بغض النظر عن ما أمره الله -سبحانه وتعالى- به. وأنا لا أتكلم هنا عن الطاعة في المعصية، أنا أتكلم هنا عن الطاعة التي توجب الشرك، لأن الزوجة قد تطيع زوجها إذا أمرها في معصية وتطيعه، ولا يطلق عليها هذا الحكم، قد تطيعه محبتا له، قد تطيعه بهذه المعصية لإجلالها له وليس لأنه يحق له ويصح له أن يحلل ما حرمه الله أو يحرم ما أحله الله. فينبغي الالتفات والانتباه إلى هذه التفاصيل الدقيقة لكي لا يقع الإنسان في الحكم على أهل الإسلام

بالإخراج من الملة، وطبعا إن شاء الله تعالى سوف يأتي معنا شيء من بيان ذلك في قول المصنف –رحمه الله تعالى-: (**وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ**) سيأتي معنا إن شاء الله أيضا تفصيل ذلك إن شاء الله سيأتي معنا في كتاب التوحيد في قول الله –سبحانه وتعالى-: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ [25]، وقصة عدي بن حاتم –رضي الله عنه- مع النبي صلى الله عليه وسلم إن شاء الله يأت معنا تفصيل هذه المسألة في كتاب التوحيد، هنا إن شاء الله كما ذكرنا نحن نحاول إن شاء الله أن نقتصر على توضيح الرسالة ولا ندخل في تفاصيل كثيرة إن شاء الله نحاول إن شاء الله أن نخرج بالمقصود من هذه الرسالة.

....

قال –رحمه الله تعالى-: (**وَالطَّوَاغِيْتُ كَثِيرَون وَرُؤسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ وَمَن دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنِ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ**).ثم ذكر الدليل: (﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾).

قال: (**وَهَذَا مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**.)

طيب نتحدث عن هذه الرؤوس الخمسة على عجل إن شاء الله ولعلي إن شاء الله آخذ شيء من الدرس التالي لأجل إن شاء الله أن ننهي هذه الرسالة بحول الله –عز وجل-، طيب

(**الطَّوَاغِيْتُ كَثِيرون وَرُؤسُهُمْ خَمْسَةٌ**)، ابتدأ بذكر إبليس عليه لعنة الله تعالى، إبليس عُبِدَ

[25] [التوبة : ٣١]

وهو راضٍ، وإبليس عليه لعنة الله تعالى دعا الناس إلى عبادة نفسه، وإبليس عليه لعنة الله تعالى قد أمر الناس بأن يدّعوا علم الغيب، وأمر الناس بالشر العظيم ولذلك قد ورد في آيات كثيرة أن إبليس عليه لعائن الله قد توعّد عباد الله –عز وجل– بأن يغويهم عن سبيل الله –عز وجل– فإبليس عليه لعنة الله له حظ عظيم من إضلال الناس، ولعل له من أعظم الحظوظ في إضلال الناس ما قد توعد به وعارض به رب العالمين –سبحانه وتعالى– في آيات كثيرة: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾[26]، في آيات كثيرة إبليس عليه لعنة الله تعالى يعاند رب العالمين –سبحانه وتعالى– بأنه سوف يغوي عباد الله –سبحانه وتعالى–، وقد بشر ربنا –سبحانه وتعالى– عباده المخلصون الموحدون بأن إبليس عليه لعنة الله تعالى ليس له عليهم سلطان وقد قال سبحانه: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾[27]، فإبليس عليه لعنة الله تعالى قد حفظ الله –سبحانه وتعالى– منه عباده الموحدين وحفظهم –سبحانه وتعالى– من أن يقعوا في حبائل هذا الخبيث اللعين.

وقد صحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **"احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ"**، فإذا حفظ الإنسان ربه –سبحانه وتعالى– في نفسه فأقام شرع الله –سبحانه وتعالى– في نفسه، وَعَبَدَ الله –سبحانه وتعالى– كما أمره الله –سبحانه وتعالى–، فإنه يُحفظ

[26] [النساء: ١١٩]

[27] [الحجر: ٤٢]

من إبليس عليه لعنة الله تعالى، ومن جنود إبليس عليهم لعائن الله تعالى، ومن أتباعه وأوليائه، فيحفظه رب العالمين، ويكفيه شرهم، ويبعدهم عنه، ويخزيهم ربنا –سبحانه وتعالى–، فإبليس عليه لعنة الله رأس من رؤوس الطواغيت ولعل له كما ذكر النصيب الأوفر والحظ الأوفر من إضلال عباد الله –عز وجلّ– عن صراط الله المستقيم.

ثم ذكر بعد ذلك: (**وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ**) لأن من عبد وهو غير راض فإنه لا شيء عليه، فإنه لم يأمر الناس بعبادته ومن المعلوم أن الكثير من أهل الضلال ورؤوس الضلال يدعون إلى عبادة الأولياء، وكثيرا منهم لا شكّ أنهم هم بأنفسهم يعبدون الأولياء كما يحصل الآن في هذه الأيام وكما هو مشهور معروف، حتى أن بعض البلدان المسجد الذي لا يوجد فيه قبر لولي يعبد من دون الله بعض البلدان يعتبر هذا المسجد شاذا في ضمن هذه المساجد، وكم رأينا والله المستعان من ذلك في بعض البلدان العربية وغيرها من البلدان رأينا ما يُفعل من الشرك الصراح بالله –عز وجل– والطواف حول القبور، والنذر لها، والدعاء، والاستغاثة، وسبحانه الله إذا كلمنا الناس هناك كأنك تخاطبهم بدين جديد أو بشرع جديد، إذا كلمتهم بأن هذا المقبور هو عبد من عباد الله –سبحانه وتعالى–، وخلق من خلق الله، وأنك ينبغي أن تتوجه بعبادتك لله –عز وجل– ،تخاطبهم سبحان الله وكأنك قد جئت بشرع جديد ودين جديد، وليس كأن هذا مسطور في كتاب الله –عز وجل–؛ مذكور في القرآن، كأنك سبحان الله تأتي بعبادة جديدة عندما تأمرهم بتوحيد الله –عز وجل–، وهذا لا شك أن هؤلاء الرؤوس الذين

يدعون إلى ذلك لهم الحظ الأوفر والنصيب الأوفر من هذا الضلال الذي يضلون به عباد الله –عز وجل– ليحملوا هذه الأوزار، وهذه الذنوب، وهذه الآثام على ظهورهم يوم القيامة، ويلقون الله –عز وجل– وهم قد أضلوا عباده سبحانه عن صراط الله –عز وجل– المستقيم.

قال: (**ومن عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ**) فمن عُبد وهو غير راض فإنه لا يدخل في ذلك فممن عبد وهو غير راض: عيسى عليه الصلاة والسلام وأمه مريم عليها الصلاة والسلام، ونحن قد ذكرنا سابقا أن من عُبد وهو غير راضٍ أنه لا يدخل في الوعيد الذي توعد الله –سبحانه وتعالى– به المشركين وآلهتهم، وقد قال الله –سبحانه وتعالى– في سورة الأنبياء: ﴿ **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَؤُلاء آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ * لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ * إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ** ﴾ [٢٨] الآيات، فهؤلاء الذين قد عُبدو وهم غير راضين مستثنون من هذا الوعيد لاشك، بل إنهم —من عبدو وهم غير راضون بهذه العبادة– لا شك أن لهم نصيب عظيم من توحيد الله –عز وجل–، لأنهم غير راضين بل هم يدعون إلى عبادة الله –سبحانه وتعالى– وحده ﴿ **وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ** ﴾[٢٩] الآيات؛ فالمسيح عليه الصلاة والسلام قد دعا بني إسرائيل إلى توحيد الله –عز وجل–، ولكن خالف منهم من خالف، آمن بعض من آمن بعيسى عليه الصلاة والسلام، جعلوه ربا وجعلوا له من الألوهية ما لا يرضاه الله –سبحانه وتعالى–، بل نقول أيضاً رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم قد عبده بعض الجهلة، ودعوه من دون الله –عز وجل–، وصرفوا لنبينا صلى

[28] [الأنبياء: ٩٨-١٠٣]

[29] [المائدة: ٧٢]

الله عليه وسلم من أنواع العبادات، ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم غير راض بهذه الأنواع التي لا يرضاها ربنا -سبحانه وتعالى- من العبادات، بل لا يرضاها صلى الله عليه وسلم لنفسه عليه الصلاة والسلام، فنبينا صلى الله عليه وسلم قد صُرفت له أيضا من أنواع العبادات.

قال: (**ومَنْ دعا الناسَ إلى عبادَةِ نفسِهِ.**) وذلك كما جاء عن النمرود وجاء عن فرعون عليهما لعائن الله -عز وجل- كانوا يدعون الناس إلى عبادتهم كما قال -سبحانه وتعالى- عن فرعون أنه قال: ﴿ **أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى**﴾ [٣٠] وكان يعلم عليه لعنة الله تعالى أن الرب الأعلى هو ربنا -سبحانه وتعالى- الله -عز وجل- ،ومع ذلك لكنه جحد واستكبر كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** ﴾[٣١] ولا شك أن من دعا إلى عبادة نفسه أنه له نصيب عظيم من عذاب الله -عز وجل- ومما يذكر هنا أن فرعون عليه لعنة الله تعالى أنه جاء ذكره في القرآن كثيرا، ولعل قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون هي أكثر قصة تكررت في كتاب الله -عز وجل-.

قال: (**ومَنِ ادَّعى شيئًا مِنْ عِلمِ الغيْبِ.**) فمن ادعى شيئا من علم الغيب فهو كافر ولا شك، وجاءت آيات كثيرة وأحاديث كثيرة في ذلك ﴿ **قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ**

[30] [النازعات: ٢٤]

[31] [النمل: ١٤]

وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[٣٢] والنبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن الكهنة كانوا يدَّعون علم الغيب، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا من جنس الكفر كما سيأتي معنا إن شاء الله تفصيل ذلك في كتاب التوحيد.

وأخيرا قال: (**وَمَنْ حكمَ بغيرِ مَا أنزلَ اللهُ.**) ومن حكم بغير ما أنزل الله ورد فيه تفصيل، وأنا أنصح في هذه المسألة بقراءة كلام الشيخ ابن باز –عليه رحمة الله تعالى– والفتوى الأخيرة للشيخ ابن عثيمين –رحمه الله تعالى– أنه كان له قول سابقا اشتهر عنه ثم تراجع عنه –عليه رحمة الله تعالى–، ومن المعلوم الفتوى التي عليها من اطلع على فتوى العلامة الشيخ محمد بن ابراهيم –عليه رحمة الله تعالى– والتي اشتهرت عنه في التفريق بين من حكم في مسألة ومسألتين وثلاث ومن حكم في الجملة وبين المشرع وغيره، ونحن نقول في هذه المسألة أن الشيخ ابن باز –عليه رحمة الله تعالى– لما سئل عن هذه المسألة وعن فتوى بعض أهل العلم الذين يقولون بأن من حكم في مسألة أو مسألتين أنه لا يُحكم عليه ومن حكم بالجملة فإنه يحكم عليه وأن من شَرَّعَ فإنه يحكم عليه قال ر–حمه الله تعالى–: "كل خير في اتباع من سلف وكل شر في اتباع من خلف" هكذا قال –عليه رحمة الله تعالى– كما تحدث بذلك بعض مشايخنا أنه وجه السؤال إلى الشيخ ابن باز –عليه رحمة الله تعالى–، فالحق في هذه المسألة أنه ليس كل من حكم بغير ما أنزل الله أنه كافر، ولأجل أن لا نطيل في هذه المسألة نقول الله –

[32] [النمل: ٦٥]

سبحانه وتعالى– قد قال في كتابه: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[33] وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[34] وقال سبحانه: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[35] فسماهم ربنا –سبحانه وتعالى– تارة باسم الكفر، وتارة سماهم باسم الظلم، وتارة سماهم باسم الفسق، ولا شك أن الكفر يكون كفرا أكبرا وكفرا أصغرا، والظلم يكون ظلما أكبراً وظلما أصغرا، والفسق يكون فسقا أكبرا وفسقا أصغرا، فلابد من فهم هذه المسألة وإحكام هذه المسألة، فليس كل ما سُمي كفرا فهو يخرج من الملة، كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوق وَقِتَالُه كُفْر " والله –سبحانه وتعالى– قد سم الفئتين المتقاتلتين سماهم مؤمنين وقال: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [36] فليس كل ما أطلق عليه كفر يعني أنه مخرج من الملة، قد يكون كفرا أكبر مخرجا من الملة، وقد يكون كفرا أصغر غير مخرج من الملة، ويكفي في ذلك تفسير ابن عباس –رضي الله عنهما– حين قال في تفسير قول الله –عز وجل– : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ قال –رحمه الله–: "ليس الكفر

[33] [المائدة: ٤٤]

[34] [المائدة: ٤٧]

[35] [المائدة: ٤٥]

[36] [الحجرات: ٩]

الذي تذهبون إليه؛ بل هو كفر دون كفر"، يعني سماه كفرا أصغر -رضي الله عنه-، قال هذا كفر أصغر، ولا شك أن الكفر الأصغر قد يكون كفرا أكبر، وهو بحسب ما يقوم في نفس هذا الذي حكم بغير ما أنزل الله، فتارة قد يكون يُطلق عليه الكفر الأصغر وتارة، يطلق عليه كفر أكبر، وتارة يطلق عليه ظلم أصغر، وتارة يطلق عليه ظلم أكبر، وتارة يطلق عليه فسق أصغر، وتارة يطلق عليه فسق أكبر. وينبغي ضبط هذه المسألة وفهم هذه المسألة جيدا، وعليكم في هذه المسألة الإخوة الفضلاء والأخوات الفاضلات للرجوع إلى كلام السلف، فإن كلام السلف -عليهم رحمه الله تعالى- كلام محكم؛ كلام متين؛ فهموا كتاب الله، وفهموا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأدوها، وإياكم وأن تتزلقوا، وأنا هنا لا أقصد معاذ الله أن أقصد فتوى العلامة ابن ابراهيم -رحمه الله تعالى- لا، أنا أقصد فتاوى التكفريين الذين يكفرون حكام المسلمين بناء على فهمهم القاصر الرديء لآيات الله -عز وجل- ولأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، ولاشك أن كثيرا من أُتِيَ في هذا الباب وضل في هذا الباب، لا شك أنه قد ضل في هذا الباب بسبب بعده عن فهم السنة و محاولته لفهم كتاب الله -عز وجل- دون الرجوع إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم ودون الرجوع إلى فهم السلف الصالح -عليهم رضوان الله تعالى-، وأنا ذكرت هنا أقصد من ضل في باب التكفير، يعني الذين انتهجوا نهج التكفير ونهج الخروج على ولاة أمور المسلمين، فنسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يجيرنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن؛ نسأل الله —سبحانه وتعالى- أن يعز دين الإسلام، وأن

يعز شرعه –عز وجل–، وأن يكتب لنا في ما قدمناه في هذه الرسالة الأجر والمثوبة وأن يجعل ما قلناه حجة لنا ولا يجعله حجة علينا، اللهم اجعله خالصا لوجهك الكريم؛ اللهم اجعله خالصا لوجهك الكريم؛ اللهم اجعله خالصا لوجهك الكريم، اللهم لا تجعل لنا في أنفسنا حظا يا ذا الجلال والإكرام مما قدمناه في هذه الرسالة، أسأل الله –سبحانه وتعالى– أن ينفع بما قلناه، وأن يعلي مقام من نفع به وانتفع به وأن يعلي درجته عنده –سبحانه وتعالى– وأن يغفر لنا ما قدمناه ، وأن يتجاوز عنا –سبحانه وتعالى– عما قصرنا وعما قد افترينا عليه –سبحانه وتعالى– مما قلناه بلا عليم، ونعوذ بالله –سبحانه وتعالى– أن نقول عليه بلا علم، اللهم من لا إله إلا أنت يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام قد سمعت وقد علمت يا ذا الجلال والإكرام، اللهم إن كان لوجهك الكريم فتقبله، اللهم وإن لم يكن يا ذا الجلال والإكرام فاعفو عنا واغفر لنا إنك سميع مجيب الدعاء.